

المملكة العربية السعودية

٦٢٨



الوسطية والاعتدال

وأثرهما على حياة المسلمين



محاضرة لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

وكالة المطبوعات والبحث العلمي

uspr@moia.gov.sa

الوسطية والاعتدال

وأثرهما على حياة المسلمين

محاضرة لمعالي الشيخ

صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

وكالة المطبوعات والبحث العلمي

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

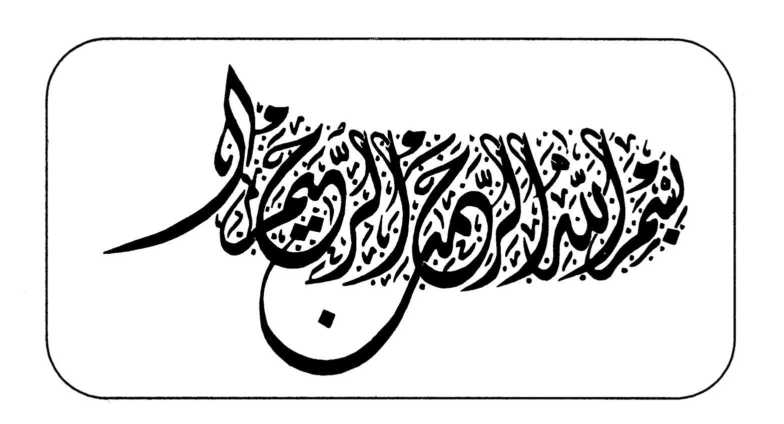
ح وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ، صالح بن عبدالعزيز بن محمد
الوسطية والاعتدال./ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
الرياض، ١٤٢٥هـ
٧٢ ؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم
ردمك: ٢-٤٨٦-٢٩-٩٩٦٠

١- الوسطية في الإسلام أ. العنوان
ديوي ٢١١ ١٤٢٥ / ٧٥٤٢

رقم الإيداع: ١٤٢٥ / ٧٥٤٢
ردمك: ٢-٤٨٦-٢٩-٩٩٦٠

الطبعة الخامسة
١٤٣٩ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أشكرُ اللهَ على آلائه العظيمة، ومِنَحِه المتتابعة.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك لـه، وأشهدُ أن محمداً عبدُ الله ورسولُه.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

أما بعد :

فموضـوعنا في هـذه المحاضـرة: (**الوسطيةُ والاعتدالُ وأثـرُهما عـلى حـياةِ المسـلمين**) هـذا الموضـوع موضوع شـرعي؛ لأن الله - جـل وعـلا- وصف هذه الأمةَ بأنها أمـةٌ وسـطٌ، قـال - سـبحانه - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [١] ولأن لفـظَ الوسـط، وكون هذه الأمة وسطًا جـاء في كتب العقائد، فما من كتاب من كتب أهل السنة

---

(١) (البقرة : ١٤٣) .

والجماعة وكتب الحديث والأثر إلا نصٌّ فيه على أن هذه الأمـة وسـط، وعلى أن أتباع المنهج الصحيح وسط أيضًا بين الغالي والجافي.

* * *

سمات المنهج الوسط

الوسطيةُ والاعتدالُ لها سماتٌ، وهذه السمات ذكرتْها النصوصُ، ووُجدت في سلوك الصحابة، وفي سلوك أئمة الإسلام .

أما سماتُها : فالوسطيةُ والاعتدالُ هي سمة الشريعة بنصِّ القرآن، فهذه الشريعة متسمة بأنها شريعةُ السماحة ورفعِ الحرج .

قال الله – جل وعلا – : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١)، وقال أيضًا : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (٢) .

وإليك سمات الوسطية:

(١) أنها شريعة العدل في الأحكام والتصرفات،

---

(١) (الحج : ٧٨).

(٢) (المائدة : ٦) .

ولذلك كانت وسطًا، فالعدلُ في الأحكامِ والتصرفات يوجب الوسطيةَ؛ لأن غير ذي الوسط لابدَّ أن يكون في سلوكه إما إلى تفريط وإما إلى إفراط [(١)] .

(٢) أن هذا المنهج موافقٌ للشرع، ثم هو موافق للعقل السليم، فالشرعُ الصحيح بنصوصه وقواعده واجتهادات العلماء فيه يدعو إلى الوسطية والاعتدال، وينهى عن الغلوِّ والمبالغة، وكذلك مقتضيات العقل السليم، فإن حياةَ الناس لا تستقيمُ إلا بهذه الوسطية، فإنَّ الانحراف عن الجادة بغلوٍّ أو جفاء لا يكون معه العيشُ مستمرًّا على وقت مصالح الناس، فمصالحُ الناس تقتضي عقلاً أن يكون هناك منهج متوسِّطٌ يجتمعون عليه، ويدافعون عنه.

(٣) أن الوسطية والاعتدال يبرأان من الهوى،

(١) الإفراط: يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب الزيادة والكمال.
والتفريط: يستعمل في تجاوز الحدّ من جانب النقصان والتقصير.

ويعتمدان على العلم الراسخ، والعلمُ إما أنْ يكون نصًّا من كتاب أو سنة، أو أنْ يكون قولاً لصحابيٍّ فيما لم يَرِدْ فيه نصٌّ، أو يكون من اجتهادات أهل العلم الراسخين في ذلك. فاعتمادُ الوسطية على العلم الراسخ الصحيح مظهرٌ من مظاهرها، وسِمةٌ من سماتها.

(٤) أن الوسطيةَ تراعي القدرات والإمكانات فليس صاحب الوسطية معجزًا للناس في طلباته، أو داعيًا إلى خيالات في آرائه وتنظيراته.

كثير من الناس لهم تنظيرات وخيالات، وهؤلاء يبتعدون عن الوسطية المرادة ؛ لأن الوسطيةَ والاعتدالَ تؤثِّران في حياة الناس تأثيرًا واقعياً ملموسًا، وهذا يعني أن تُراعَى في ذلك القدرات والإمكانات سواء أكانت قدراتِ الأفراد، أم قدرات المجتمع، أم قدراتِ الدولة الخاصة بالبلد، أم القدرات المتعلقة بالأوضاع العالمية.

(٥) أن فيها مراعاةً للزمن والناس، فالزمنُ يتغيَّر، والناسُ أيضًا يحتاجون إلى تجدّد باعتبار الزمن وباعتبار

التغير، فمحافظتهم على المنهج الوسط يقتضي أن يكون هناك مراعاةٌ لاختلاف الأزمنة والأمكنة والناس؛ ولهذا نصَّ أهلُ العلم على أن الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان، والوقائع والأحوال والناس [1].

* * *

(١) انظر «الموافقات» (١: ٣٣٢).

«الوسطية» صفة هذه الأمة

لماذا نذهب إلى الوسطية؟ هل هو لعلاج مشكلة قامت أم هو لأجل إيجاد حلول لمشكلات أم لغير ذلك؟

الجواب: نختار الوسطيةَ والاعتدالَ لأن الله - جل وعلا - أَمَرَ بها، وأمر بها رسولُه ﷺ. إذن هي مأمور بها، ويجب على الناس أن يمتثلوا المأمورَ، وأن يجتنبوا ما لم يؤمروا به في المناهج والأفكار.

ولأن الوسطيةَ حقٌّ، ولأن غيرَها باطلٌ.

ولأن الوسطيةَ بريئةٌ من الأهواء، فغالبًا يكون طرفا الجِهَتَيْنِ إما الغلوُّ وإما الجفاءُ، وإما التفريط وإما الإفراط، ثم يحرِّكه الهوى، أما الوسط والاعتدال المبني على العدل والحق فإنه يبرأ من الهوى، والهوى مأمورٌ أنْ نبرأ منه، وأن نسعى في تجنب أثره على النفس في الفكر والحكم والتحاكم، قال الله - جل وعلا -: ﴿ أَفَرَءَيْتَ

مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [(١)] .

وكـونُ الوسطيةِ والاعتدال موصلةً إلى تحقيق مقاصد الشريعة في الدين والدنيا.

ومعلـوم أنـنا نحـتاج لتحقـيق الشـريعة أن نـرعَى الشريعة، وأن نحقق مقاصدَها في الناس.

فالشـريعةُ جـاءتْ لـتحكمَ في الـناس، ولتكون حياةُ الناس في ضوئها، ولم تأتِ الشريعةُ لتكون نظرياتٍ يُباهى بهـا، أو تكـونَ خيالات الناس يفتخـرون بها من دون أن تكـون تطبـيقًا في الواقـع بأحكامهـا ومُـثُلِها وعقائدهـا، لذلـك فالوسـطيةُ والاعـتدالُ - عـلى نحـوِ مـا ذكرنا - موصـلةٌ إلى تحقـيق مقاصـد الشـريعة في الدين وفي الدنيا أيضًا .

وأخيرًا فإنَّ اللهَ - عز وجل - جعلنا أمةً وسطاً؛ لأن الوسـطية أبعدُ عن الفتن ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، فالفتنُ في

---

(١) (الجاثية : ٢٣).

تـاريخ الإسـلام منذ أن نبع وظهر المعـترض على رسول الله ﷺ بقوله : اعدلْ يا محمدُ، وردَّ عليه النبيُّ ﷺ بقوله : « ويحـك ومَنْ يعدل إذا لم أعدلْ » [1] ، هذه الوسطيةُ منذ ذلـك الحين مرورًا بخروج الخوارج، والفِرَقِ الضالة إلى أن وصـلنا إلى هذا الوقت بما فيه، إلى أنْ حصلت التفجيراتُ الأخـيرة، ومـا فـيها مـن أفكار، وما فيها من غلوٍّ وتكفير وجفـاء ؛ لهـذا كلِّه اختار الله – عز وجل – لنا الوسطيةَ؛ لأنها مبعدةٌ عن الفتن ما ظهر منها وما بطن.

* * *

---

(١) أخـرجه «الـبخاري» في «صحيحه» في (كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام) (٣٦١٠)، وأخرج قريباً منه كلٌّ من «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الزكاة – باب ذكر الخوارج وصفاتهم) (١٠٦٤)، و«أبو داود» في (كتاب السنة – بـاب في قـتال الخـوارج) (٤٧٦٤)، و«ابن أبي عاصم» في «كتاب السنة» في (بـاب المارقـة والحـرورية والخوارج) (٢: ٤٥٥)، و«الحاكم» في «المستدرك» في (كـتاب قـتال أهـل الـبغي – باب صفات الخوارج وحكم قتلهم) (٢: ١٤٥، ١٥٤).

أسباب الثبات على الوسطية

أولاً: معـرفةُ المـنهج الصـحيح مـن الكتاب والسنة، وكـلام أهـل العـلم الراسخين فيه ؛ لأن المنهج الصحيح يحـتاج إلى معـرفة نصوصه وأدلته، وكلام أهل العلم فيه، ولم يـؤتَ الـناس إلا مـن بُعْدِهِـم عـن الثبات عن المنهج الحـق والاعـتدال والوسـطية، وذلـك سبب قصورهم في العـلم، وغلبة الجهل، لذلك كلما كنا حريصين على نشر العـلم الصـحيح الـنافع مـن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وَفَهْـمِ السـلف للنصـوص، واجـتهاداتهم فيما فهموا من النصـوص كـان ذلـك مدعـاةً للثـبات عـلى الاعـتدال والوسـطية، فـالجهلُ، وتَرْكُ العلم، والذهاب إلى عقليات وأفكـار ربمـا لا تكـون موافقةً للعلم الصحيح، كل ذلك يبعد عن المنهج الوسطي .

الـثاني: قـوةُ العـلم والتـبحر فـيه، فـإن العلمَ يزداد بالاعتدال، ويضمحل بالغلوِّ أو الجفاء .

الثالث: قوةُ العقل، فاللهُ - جل وعلا - خاطَبَ في كتابه العزيز أولي الألباب، وخاطبَ الذين يعقلون، وخاطبَ الذين يفهمون، وخاطبَ مَنْ يتذكَّر من أهل اللبِّ الصحيح السليم، ومن أهل العقل الصريح القوي، وفي هذا إشارةٌ إلى أهمية العقلِ والإدراك في فَهْمِ النصوص، وَفَهْمِ المصالح .

الرابع: النظرُ في تجارب الناس والتاريخ، وما حصل فيه من محنٍ وفتنٍ، وما حصلَ من إصلاح، فإن هذا ينتج عنه الاهتمام بلزوم الوسطية والاعتدال ؛ لأن التاريخَ فيه تجاربُ كثيرةٌ داميةٌ، وفيه تجاربُ كثيرة قاتلةٌ، وفيه تجاربُ كثيرة صالحة ومُصْلِحَةٌ، مَنْ نَظَرَ فيها بعين الإنصاف وَجَدَ بقوةِ عقله وإدراكه أن من نجح كان معتمدًا على الوسطية في قوله وعلمه وعقله وإدراكه .

الخامس: الصبرُ؛ لأنه سِمَةُ أهل العلم، بل هو سِمَةُ الأنبياء والمرسلين، قال الله -جل وعلا - : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا

صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (١)، وقـــال – جل وعلا – : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢)، فمَنْ استُخِفَّ فليس بذي عقل، ومَـنْ لم يكـن جازمًا بوعد الله حقًا، صابرًا فهو مُسْتَخَفٌّ أيضاً، وليس بذي إدراكٍ سليم.

فالصـبرُ وعـدمُ الاستعجال في الأمر كلّه من سمات الثبات عـلى الوسـطية والاعـتدال، وذلـك مـن أسبابِ النجاحِ في المآرب والمقاصد.

* * *

(١) (الأحقاف : ٣٥).

(٢) (الروم : ٦٠) .

أسباب الانحراف عن الوسطية والاعتدال

أما أسباب الانحراف عن الوسطية والاعتدال فيمكن تلخيصها بما يلي:

١- الجهل .

٢- الهوى .

٣- غلبة العاطفة على العقل .

٤- استعجال النتائج فيما هو مشروع، وطرح نتائج مرفوضة فيما ليس بمشروع .

٥- الابتداع في الدين .

٦- اتهام العلماء والعقلاء بالمداهنة وترك الحق .

* * *

الوسطية في الإسلام عقيدة وشريعة

تطبيق مفهوم الوسطية والاعتدال في حياة المسلمين مهم جدًا، ولابدَّ من فهمهما فهماً سليماً؛ لأننا نسمع من يقول: منهج الوسطية، ولفظُ «الوسطية» كثيرًا ما يستعملُ من دون ضوابط شرعية أو عقلية، ومعلوم أن مرجع الوسط دائمًا بين طرفين .

فمَنْ يحدد الطرفين ؟ مَنْ يصف المنهج الوسط ؟ مَنْ يقول: إن هذا وسطٌ، وإن خلافه ليس بوسط ؟

الجواب: لابدَّ من قواعد تُحكم ذلك حتى لا يجرنا هذا المنهج إلى نبذ مُسَلَّمات من الدين أو العقيدة الصحيحة، طلبًا لوسطية متوهمة، فالوسطية والاعتدال مطلوبان شرعًا وَفْقَ ضوابطها الشرعية التي يُقِرُّها أهلُ العلم الراسخون فيه .

الإسلامُ عقيدةٌ وشريعةٌ، فعقيدته مبنيةٌ على الوسطية، كما نصَّ أهل العقائد.

وشـريعتُه مبنـية على الوسطية أيضًا والاعتدال، كما نـصَّ أهل الفِقه والقواعد والمقاصد والأصول، قال الله – جل وعلا – : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١]، معنى قوله: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ -كما فسَّرها الصحابة ومَنْ تبعهم- جعلـناكم أمـةً عـدلاً خـيارًا بمـا تتوسطون فيه بين الغالي والجـافي، فهـناك غلـوٌّ وجفاء في الملل والنحل، هناك غلوٌّ وجفـاء في الفِرَقِ المختلفة في هذه الأمة، هناك غلوٌّ وجفاء في أنـواع الشـرائع الـتي سـبقتنا في الجماعات والتحزبات المختلفة.

ومما يدل أيضًا على هذا المبدأ قولُ الله – جـل وعلا – : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[٢]، وقال – جل وعلا–: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٣].

---

(١) (البقرة : ١٤٣) .

(٢) (الإسراء : ٢٩) .

(٣) (الفرقان : ٦٧) .

فثبت عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: **«إياكم والغلوَّ فإنما أهلَكَ مَنْ كان قَبلكُمْ الغلوُّ في الدين»**[١]، وجاء عن «علي بن أبي طالب» الخليفة الراشد – رضي الله عنه وأرضاه – أنه قال: **«خير الناس النَّمَطُ الأوسطُ الذين يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم الجافي»**[٢]، وقال بعض السلف: **«دينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه»**[٣]، وهذه قاعدة عند أئمة السلف وعند من صنف في العقائد، يقولون: دينُ الله الحقُّ، دين الله المرضي عنه، دين الله الذي يُؤْمَرُ الناس باتباعه وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه .

---

(١) أخرجه الإمام «أحمد» في «مسنده» (٣: ١٨٥١) و(٥: ٣٢٤٨) و«النسائي» في «سننه» في (كتاب المناسك – باب التقاط الحصى) (٣٠٥٩)، و«ابن ماجَهْ» في «سننه» في (كتاب المناسك – بابُ قدر حصى الرمي) (٣٠٢٩)، كلهم من حديث «ابن عباس» رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه «ابن أبي شيبة» في «المصنف» (٧ : ١٠٠) برقم (٣٤٤٩٨) وقد أورده «المناوي» في «فيض القدير» (٣: ١٣٤) من دون عزو عند كلامه على الغلوِّ في الدين.

(٣) قريب منه في «سنن الدارمي» (باب في كراهية أخذ الرأي) (١: ٧٢) من كلام الحسن.

وفي الحديث الذي في الصحيح قال ﷺ: **«إنَّ الدينَ يُسْرٌ ولن يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلَبَه»**(١)، والنبي ﷺ **ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسَرَهُمَا ما لم يكنْ إثمًا**(٢).

وفي الحديث الذي في بعض السنن وفي غيرها، وهو مرسل وله شواهد من حديث محمد بن المنكدر عن جابر قال: **«إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأوغلْ فيه برِفْقٍ فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطَعَ ولا ظَهْرًا أبقى»**(٣).

وصح عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال:

---

(١) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الإيمان - باب الدين يُسْرٌ) (٣٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب المناقب - باب صفة النبي ﷺ) (٣٥٦٠)، و«مسلم» في «صحيحه- في (كتاب الفضائل - باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله..) (٢٣٢٧)، من حديث «عائشة» رضي الله عنها.

(٣) أخرجه هكذا «ابن المبارك» في «الزهد» (١٣٣٤)، موقوفاً على «عبدالله بن عمرو» - رضي الله عنهما - ، و«البيهقي» في «سننه» في (كتاب الصلاة - باب القصد في العبادة والجهد في المداومة) (٣: ١٨)، و«الحاكم» في «معرفة علوم الحديث» (٩٦) و«الهيثمي» في «مجمع الزوائد» (١: ٦٢) من حديث جابر - رضي الله عنه -، وتكلم عليه «ابن حجر» في «فتح الباري» (١١: ٢٩٧). وأخرج صدره «أحمد» في «مسنده» (٢٠: ١٣٠٥٢) من حديث «أنس» رضي الله عنه.

«أحبُّ الدين إلى الله الحنيفيةُ السمحةُ»[(١)]، وقال أيضًا: **«ألا هلك المتنطعون»** ثلاث مرارٍ[(٢)].

ولما أرسل صاحبيه معاذًا، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: **«يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا»**[(٣)].

---

(١) أورده «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الإيمان – ٢٩ بابٌ الدينُ يُسْرٌ) من قول النبي ﷺ تعليقاً. وأخرجه في «الأدب المفرد» ٢٨٨، و«أحمد» في «مسنده» (٤: ٢١٠٧) من حديث «ابن عباس» رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه «أحمد» في «مسنده» (٦: ٣٦٥٥) و«مسلم» في (كتاب العلم – بابٌ هلك المتنطعون) (٢٦٧٠)، و«أبو داود» في «سننه» في (كتاب السنة – باب في لزوم السنة) (٤٦٠٨)، كلهم من حديث «عبدالله بن مسعود» رضي الله عنه. «المتنطّع: المتعمق».

(٣) أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب المغازي – بابُ بَعْثِ أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن قبلَ حَجَّةِ الوَدَاع) (٤٣٤١، ٤٣٤٤)، وفي (كتاب الأدب – باب قول النبي ﷺ: يسِّروا ولا تُعَسِّروا) (٦١٢٤)، و(كتاب الأحكام – بابُ أمر الوالي إذا وَجَّهَ أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا) (٧١٧٢)، و«مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الجهاد والسير – باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها) (١٧٣٣) بزيادة «ولا تختلفا»، كلهم من حديث «أبي بردة» رضي الله عنه. و«الطيالسي» في «مسنده» (٤٩٨)، من حديث «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه.

وهـذه هي قاعدة الدعوة، كما أجمع على ذلك أهل العـلم، وأيضًـا جـاء عـنه – علـيه الصلاة والسلام – أنه قال: « **أحَبُّ الأمورِ إلى الله أواسطُها** » [١] .

إذا تـبين ذلـك وأن هـذه الوسـطيةَ وهـذا الاعـتدالَ مطلـوبٌ وأن دلائـل الشـرع تَـدُلُّ علـيه، وأنه منحةٌ لهذه الأمـة ؛ لكـي تـبقى وتسـتمر، وأنـه لا بقاء للغلاة، ولا لـلجفاة، وإنمـا الـذي يـبقى الناصـح لهـذه الأمـة، ويبقى المخلـص والعـالم والمعلِّـمُ لهـا، والـذي يؤثِّر فيهم هو مَنْ يكـون عـلى هـذا المـنهج القويـم الـذي دلَّ عليه النصُّ، وسـلوك الخلفـاء، وأقوالهـم، وأعمـالُ أئمـة الإسـلام، ومصنفاتهم.

* * *

---

(١) ذكـر « العجلوني » في « كشف الخفاء » (١ : ٣٩١) : «خير الأمور أوسطها» وفي لفظ « أواسطها » .

وسطية الإسلام بين الأديان والشرائع

الوسطية لها أنحاء من حيث التطبيقُ، إما من جهة الوصف السابق، أو من جهة التنظير الواقع .

فالإسلامُ وسطٌ بين الديانات، فمَنْ تأمل عقيدةَ الإسلامِ وجدها الوسطَ بين الديانات المختلفة، والدياناتُ هي كل دين دانَ الناس به والتزموه سواء أكان دينًا أصله حق أم كان دينًا باطلاً من أصله، فالإسلامُ وسط بين اليهودية والنصرانية [1]، والإسلام وسط بين المجوسية والبوذية، والإسلام وسط بين أهل القوانين بين الرومان وبين الذين يجعلون الحكم لأنفسهم.

الإسلامُ وسط في الأخلاق ووسط في المعاملات،

---

(١) اليهود أهل تقصير في الدين، بدَّلوا كتابَ اللهِ، وقتلوا أنبياءَهم، وكَذّبوا على ربِّهم، وكفروا به، والنصارى أهل غلوٌ فيه، غَلَوْا بالترهُّب، وقيلهم في عيسى - عليه السلام - ما قالوا.

والمسلمون أهل توسّطٍ واعتدالٍ فيه، فوصفَهم اللهُ بالوسط، إذ أحبُّ الأمور إلى الله أوساطُها. ا.هـ من «تفسير الطبري» (٢: ٦٢٦-٦٢٧).

الإسلامُ دعا إلى الأخلاق الحميدة، وحضَّ عليها، بل وَصَفَ الله – جل وعلا – نبيَّه ﷺ بذلك في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1]، لكنه لم يجعل من الخُلُقِ المحمود تركَ العزة، ولم يجعل من الخُلُق المحمود تركَ الحق، بل جعل الخُلُقَ المحمودَ وسطًا بين اللين والقوة، فالقوةُ في مكانها مطلوبةٌ، واللين مع المسلمين وغير المسلمين في مكانه مطلوبٌ، فالحق بين ذاك وذاك، والإسلامُ وسطٌ أيضًا في الديانات، في أنواع المعاملات، وأنواع التشريعات التي فيها تعامل الناس ما بين مَنْ يُحِلُّ الربا بأنواعه، وما فيه ظلم للناس، وما بين مَنْ يمنع كل أنواع التعامل، ويحرم المال الذي يكتسبه الإنسان إلا من عمل يده، فالإسلامُ يدعو إلى التجارة، ويدعو إلى العمل، ويدعو إلى الاقتصاد، ويدعو إلى تنمية المال، ولكنه يَمنع في ذلك كله الظلمَ، ويَمنع أَخْذَ أموال الناس بغير حق، ويمنع أن يكون

---

(١) (القلم : ٤).

المال دُولة بين الأغنياء فقط، كما كان ذلك في شرائع الجاهلية، وفي شرائع من سبقنا من الملل والشرائع.

الإسلامُ وسط فيما أمر به في المعتقدات، وما أخبر الله - جل وعلا - أو أخبر به رسولُه ﷺ .

ففي التوحيد وسطٌ بين الغالي فيه ممن يشرك بالله - جل وعلا - كالنصارى واليهود، وما بين الجافي والمبتعد عن ذلك، ممن يظن أن الناس جميعًا على التوحيد مهما عملوا، فالإسلام يدعو إلى توحيد الله - جل وعلا - بما أمر الله به في قوله : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[2]، فتوحيدُ الله - جل وعلا - والإخلاصُ له أساسُ الملة والدين.

* * *

(١) (الزمر : ٢).

(٢) (الإسراء : ٢٣).

وسطية أهل السنة بين الفِرَقِ والطوائف

أهلُ السنة والجماعة وسطٌ في باب الصفات بين الممثِّلَة المشبِّهة وبين النفاة المعطلة.

وفي أبواب الإيمان أهل السنة والجماعة والإسلام الحق وسطٌ ما بين التكفيريين الغلاة وبين المرجئة الجفاة.

وفي إثبات الإيمان من أنه قولٌ وعملٌ واعتقاد، ووسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.

كذلك الإسلام وسط في حبِّ الصحابة بين الغلاة فيهم ممن أَلَّهوهم، وبين النواصب الذين ذمُّوا بعض الصحابة.

فأهل السنة والجماعة يثنون على جميع صحابةِ رسول الله ﷺ ويقولون فيهم ما قال الله -جل وعلا-: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [1].

---

(١) (الفتح : ١٨).

وفي أبواب الإمامة والولاية: أهل السنة والجماعة بل دين الإسلام وسطٌ بين مَنِ اختلفوا في هذه المسألة العظيمة من الخوارج في القول والعمل الذين يَرَوْنَ الخروج على الولاة فيما يَرَوْنَ منهم من أخطاء أو منكرات، والطرف الآخر الذي لا يرى نصيحة الإمام أصلاً، ويرى أن ما قاله وليُّ الأمر صوابٌ مطلقًا؛ لأنهم نوابُ الله - جل وعلا - في أرضه.

* * *

من الوسطية طاعة ولي الأمر

يـرى أهـل السـنة والجماعـة وجـوبَ الطاعـة لولي الأمـر؛ لأمـر الـنبي ﷺ في وجوب ذلك إذ قال: «**عليك السـمعَ والطاعـةَ في عُسْـرِك ويُسْرِكَ ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ وأثَرَةٍ عليكَ**» [١] .

وعـن «عـبادة بن الصامت» - رضي الله عنه – قال: «بايَعْـنَا رسـولَ الله ﷺ عـلى السـمع والطاعة، في العُسْرِ واليُسْـرِ والمَنْشَـطِ والمَكْـرَهِ، وعـلى أثَـرَةٍ علينـا، وعـلى أن لا نـنازعَ الأمْـرَ أهلـه، وعـلى أن نقـول بـالحق أيـنما كُـنَّا، لا نخـافُ في الله لومـةَ لائمٍ» [٢] . كما ثبت ذلك في

---

(١) أخـرجه «مسـلم» في «صـحيحه» في (كـتاب الإمـارة – باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية) ١٨٣٦ من حديث «أبي هريرة» رضي الله عنه.

(٢) أخـرجه «مسـلم» ١٧٠٩ مـن حديـث «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه. وقريـب مـنه أخرجه «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الفتن – بابُ قول =

صحيح مسلم.

فأمـر الإمامة والولاية عظيم، وشأنه جسيم لكن معه في منهج الوسطية النصحُ والبيانُ والتعاونُ مع ولاة الأمر على البر والتقوى.

* * *

=

الـنبي ﷺ: سـترون بعـدي أموراً تُنْكرونها) (٧٠٥٦)، و«أحمد» في «مسنده» (٣٧: ٢٢٧٣٥) و«ابن أبي عاصم» في «السنة» (١٠٢٩).

الوسطية والاعتدال في الفقه والأحكام

يتبين ذلك فيما يلي :

أولاً: مراعاة الاجتهاد، فالاجتهاد ماضٍ لم يغلق [(١)] .

وباب الاجتهاد منهم مَنْ فتحه على مصراعيه حتى دَخَلَهُ مَنْ ليس بأهل له، ومَنْ لم يعِ النصوصَ ولا القواعدَ ولا الأصولَ.

ونسمع اليوم مَنْ يجتهد في المسائل الشرعية، والنوازل العظيمة مما لو كانت في عهد عمر - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر [(٢)] ، واليوم تَنْزِلُ المسائلُ

---

(١) قال «الشاطبي» في «الموافقات» (٥ : ١١): «الاجتهاد على ضربين: أحدهما: لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف، وذلك عند قيام الساعة. والثاني: يمكن أن ينقطع قبل فناء الدنيا...».

(٢) قال «البخاري» في «صحيحه» في (كتاب الاعتصام - ٢٨باب قول الله - تعالى-: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى:٣٨]، و: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ... وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وَضَحَ الكتابُ أو =

العظيمةُ بالأمة فيُفتي بها الواحد، ويُفتي بها الاثنان من عامة طلبة العلم، ممن ليسوا مؤهلين لذلك، فلم يكن عندهم رسوخ في العلم، مما يجتنبه الجمهرةُ من العلماء، وهذه مما يحتاج أن يجتمعوا جميعًا لينظروا في هذه النازلة، فالاجتهاد مفتوح بابُه، لكن هذا الفتح وسطٌ بين فئتين بين مَنْ يرى غَلْقَ باب الاجتهاد أصلاً، والبقاءَ على نصوص السابقين من أهل العلم، وبين مَنْ يرى باب الاجتهاد مفتوحًا لكل أحد حتى ولو لم يكن أهلاً لذلك .

ثانيًا : الاعتدال في الفقه والأحكام والوسطية في ذلك تدعونا للوسطية بين جهتين، بين لزوم المذهبية ونزع المذاهب، فهناك من يطلب نزعَ المذاهب الفقهية، وأنَّ المذاهب ليست بحق على إطلاقها، وإنما كانت لفترة مضتْ، والواجبُ الرجوعُ إلى كُتُبِ الحديث والسنة، ونَبْذُ كُتُبِ المذاهب مهما كانتْ، وبين فرقة أخرى ترى البقاءَ

=

السنةُ لم يَتَعَدَّوْه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ .. وكان القُرَّاءُ أصحابَ مَشورة عمرَ كهولاً كانوا أو شباناً، وكان وقَّافاً عند كتاب الله، عز وجل) .

على نصوص المذاهبِ، وأنهم أدرى بذلك، وأن نصوصَهم وكلامَ علماء المذاهب يصلح لما بقي من الزمان، والحقُّ وسطٌ بين الفئتين ؛ لأن كلام علماء المذاهب مطلوبٌ فهمُه ؛ لأنهم الذين فَهِمُوا الشريعةَ وصوَّروها، لكن لكلِّ زمنٍ أحكامٌ، ولكل زمنٍ فَهْمٌ، والشريعةُ منوطة بالمقاصد، ومنوطة بتحقيق المصالح ودرء المفاسد، فالبقاءُ على نصوص علماء سابقين ليسوا معنا في هذا الوقت، وليسوا متطرقين إلى ما نعيشه، وما عندنا من علل، ومقاصد، ومصالح يجب مراعاتها، ومفاسد يجب درؤها. هذا ليس من باب الاعتدال، فالاعتدال الأخذ بأقوالهم، وفهم مراداتهم، وأخذ أحكامهم، ومعرفة مآخذهم، ولكن يجب النظرُ في النصوص ؛ لأن النصوصَ واسعةٌ تَسَعُ الأزمنة، والأخذُ بكلام العلماء مطلوبٌ في فهم تلك النصوص، فالإسلامُ وسطٌ في المذهبية ما بين معطِّلة المذاهبِ، وما بين الغُلاة في المذهبيةِ.

ثالـثًا: كذلـك الوسطيةُ والاعتدال سمةٌ لهذا الدين، وسمـةٌ لأهـل السـنة والجماعـة فيما بين التشديد المفرطِ، والتيسير غيرِ المنضبط .

الـنبيُّ ﷺ أمَـرَ بالتيسـير وحضَّ عليه، وكان إذا خيِّر بين أمريْن اخـتار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا [١] .

وهـذا فـيه نفـيٌ للتشـديد الذي هو إيقاع في الحرج، فـالذين يـأخذون بالتشـديد، ويَدَّعون أن الحق في الشدة، وأن الحق في التغليظ ليس هذا بحق، بل هو نوع من الغلوِّ في الأحكام يجب نبذُه، وإنما الحقُّ في أن نأخذ بالتشديد في مكانـه الذي دلَّ عليه النصُّ، أو حيث خُيِّرْنا بين أمرين لم يَرِدْ نصٌّ في أحدهما، فإننا نختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، وهــذا مهــم جــدًا في الــبحوث، وفي المقــالات، وفي المحاضـرات، وفـيما نوجِّهُ فيه الشبابَ، نجتهد في أن نبتعد عـن التشـديد الـذي يضـرُّ، وعـن الأخـذ بالغلظة، وعن

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢١) .

الأخـذ بالشـدة الـذي يجعـل في النفوس حَرَجًا حتى من الـتعايش مـع الـناس، والواجـبُ أن يكـون هـناك أَخْـذٌ بالوسـط والاعـتدال في ذلـك كلـه ؛ لأن الشريعة جاءت بـنفي الحـرج، و«أن المُنْبَـتَّ لا أرضًـا قَطَـعَ ولا ظهـرًا أبقَى»(١) .

كذلك الشريعةُ في أحكامها وفقهها ومقاصدها وسطٌ في المصـالح والمفاسـد، غلا أناسٌ في المصالح حتى قدَّموا المصلحةَ المتوهّمة على النصِّ، وحتى قال بعضُهم : حيثما وُجـدت المصلحةُ فثَمَّ شرع الله، وغلا آخرون حيث رأوا إلغـاء المصـالح مطلقًـا، والـنظر في النصـوص، وأن النصوص فقط هي المصلحة، فيأخذون بظاهرها.

والشـريعةُ شـريعةٌ معلَّلـة، شـريعةٌ مبنـيةٌ على جلب المصـالح وعـلى دَرْءِ المفاسـد، ومَـنْ فَاتَـه العـلمُ بقواعد الشـريعة ومقاصـدها فإنـه يفوتـه تحقـيق هـذه الشـريعة

(١) تقدم تخريجه ص (٢١).

المباركة، فهذه الشريعة المباركة شريعةُ الإسلام شريعةٌ مبنية على عِلَلٍ، وعلى مقاصدَ، وعلى رعاية المصالح [١]، مبنيةٌ في الفقه على معرفة الفَرْقِ والجمع بين الأحكام المنصوص عليها، أو التي اجتهد فيها العلماء.

فمَنْ فاته معرفةُ ذلك فإنه لا مجال له في الاجتهاد في الحكم في رؤية أحوال الناس.

بهذا يجب علينا أن نَرْعَى الوسط ما بين الذين ينفون المصالح مطلقًا، وما بين الذين يَغْلون فيها، فشريعتُنا معلَّلة نأخذ بالمصالح ومقاصد الشريعة ؛ ولهذا نرى كلام أهل العلم الراسخين فيه مثل الإمام أبي حنيفة والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مسائل كثيرة يَرَوْنَ فيها المصالحَ المنوطة بالنصِّ، حتى تكلموا في مسائلَ ربما خالفتْ ما عليه الفتوى اليوم ؛ لرعايتهم للمصالح

(١) انظر «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤: ٣٣٧).

المتوخاة من الشريعة.

فرعايةُ المقاصد والمصالح مطلبٌ شرعيٌّ ضروريٌّ لتأصيل منهج الوسطية، والاعتدال في الأمور.

❑ الوسطية والاعتدال في الحكم على الأشياء:

الأشياءُ تتجدد، والقضايا تتنوَّع، وكلُّ يوم لنا فيه جديدٌ، ولاشك أن الزمن له حركة، والمدنيَّة ولاّدة، والحضارةُ متوقدة، ولن تقف عند حكم فقيه أو داعية، أو عند تنظير مُنَظِّر، المدنيةُ تتولَّد وتنمو، كما هو مشاهد ومنظور في الزمن الحاضر.

ولابدَّ حينئذ من أن يكون هناك منهجٌ واضحٌ معتدلٌ في الحكم على الأشياء، والأوضاع، والأشخاص، والأفكار وما يطرح، والنوايا والمقاصد، والمجتمعات، والدول، والعلماء، والدعاة، والناس، وهذا المنهج الوسط يجب أن يؤصَّل في أطروحات ورسائل حتى لا يكون الناس الذين يَرومون من طلبة العلم الإصلاحَ، والدعوةَ

والإرشادَ في غَيْبَةٍ عن المنهج المعتدل في ذلك .

ومن قواعد أهل العلم : **الحكمُ على الشيء فرعٌ عن تصوُّره** [١]، واللهُ – جل وعلا – قال لنا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [٢]، فمَنْ أراد أن يحكم على شيء دون علم كامل بهذا الشيء، أو يحكم على وَضْعٍ، أو يحكم على شخص، أو يحكم على أفكار وأطروحات، أو يحكم على نوايا ومقاصد دون معرفةٍ شرعية بذلك ؛ فإنه حينئذ يَقْفُو ما ليس له به علم.

والواجب علينا أن نضع هذه الآية نَصْبَ أعيننا، وأن نضع قولَ الله – جل وعلا – في النهي عن القول بلا علم حيث جعله قرينًا للشرك بقوله – جل وعلا – : ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا

---

(١) انظر هذه القاعدة في «مغني المحتاج» (٢: ٣٦٣)، و«حاشية البجيرمي (١: ٩٧، ٣٧٤) و(٣: ٢٣٢) و(٤: ٥٧).

(٢) (الإسراء : ٣٦) .

لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١]، والنبيُّ ﷺ نهى عن القول بلا علم، وقال ﷺ: «أجرؤكم على الفُتْيا أجرؤكم على النار»[٢].

فكيف نحكم على الأوضاع ؟ الناسُ كما ترون يحكمون على كلِّ شيء، فهل يليقُ بأهل الفكرِ والعلمِ، وأهل المنهج الفكريّ والمنهجِ المستقيمِ في النظر والتأملِ أن يكونوا مستعجلين؟ وأن يكونوا غيرَ متأنين في الحكم على الأشياء ؟

أنتم سواء من الطلاب من ذوي المستويات العالية، أو من غيرهم، فلا يسوغ أن يكون تفكيرُكم وحكمُكم على الأشياء بلا منهج، فإذا تُرِكَ الناسُ في الحكم على الأشياء بلا منهج ستنتج أشياءُ وأشياءُ وأشياءُ من مثل ما رأينا، وسينتج هناك أفكارٌ وآراءٌ وأحكامٌ على

---

(١) (الأعراف : ٣٣) .

(٢) أخرجه «الدارمي» في «سننه» في (باب الفتيا وما فيه من الشدة) (١: ٥٧) وأورده «أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي» في «الآداب الشرعية» في «فصل في قول العالم: لا أدري، واتقاء التهجم على الفتوى» (٢: ١٥٦).

الأوضاع والأشخاص والمجتمعات والدول، وحتى الحكم على النوايا والحكم على أهل العلم بما تَرَوْنَ، وبما لا تَرَوْنَ في المستقبل .

إننا نطالبُ بمنهج نفكر فيه ونفكر به يكون قاعدةً للتفكير كيف نفكِّر؟ كيف نبني النتائجَ على مقدماتها؟ هل يسوغ أن يكون هناك حكمٌ على النتائج والأمور، وحصول نتائج في الحكم أو في العمل من دون مقدمات للتفكير سليمة ؟ كيف نصحح الأفكار ومنهج الحكم على الأشياء؟ هذا من أهم المهمات.

من القواعد أنه ليس لكل أحد أن يقتحم الحكم في كل مطلب، هناك أشياءُ عظيمة يجب أن تُترك للناس الكبار الذين ينظرون للأمور بمنظار شامل، أنت لا تعرف كلَّ شيء من الأمور، هل يسوغ لطالب علم أو متزنٍ أو مثقف أو أي أحدٍ من عامة الناس أن ينصِّب نفسه حَكَمًا على أوضاعٍ، أو دولةٍ أو علماءَ أو أفكارٍ دونَ حصرٍ، ودونَ نظرٍ، ودونَ تطبيق للقواعد الشرعية ؟

من الناس مَنْ يَرَوْنَ أن يكون ديدنُه في الحكم الأخذَ ببعض الأشياء، فيرى نصًّا واحدًا لديه كافيًا في الحكم الكليّ على ذلك، ولو كان الأمر كذلك لما كان الفقهاء قليلين.

* * *

طريقة تمييز فقهاء الإسلام

فقهاءُ الإسلامِ هم الذين نظروا في النصوص جميعًا، ونظروا في عِلَلِها، ونظروا في المقاصد، ونظروا في المصالح وفي المفاسد. فالحكمُ الشرعيُّ لا يُناط بشيء واحدٍ ينظر فيه المرء، فلابدَّ من الاعتدال في الحكم على الأشياء ما بين طرفٍ يغلو فيحكم بمجرد خاطرٍ وَقَعَ له، وما بين آخرَ يترُكُ الأمرَ وكأنه لا يعنيه .

نحتاج إلى وسط في المنهج، لا الغلاة الذين يحكمون دائمًا بالأسوأ من الأحكام على الأشياء، وعلى الأشخاص، ويحكمون بالظن ويسيئون النظر، ويحكمون على كلمةٍ قالها شخصٌ، أو أمرٍ تَبَنَّتْهُ جهةٌ، والواجب أن يكون المرءُ متوسطًا موازنًا بين الإيجابيات والسلبيات، موازنًا بين المصالح والمفاسد، موازنًا في الحكم على الأشياء بين الغالي فيها والجافي عنها .

فالذي يروم الحكمَ من دون توسُّط فإنه يذهبُ إلى

الخروج عن اعتدال الشريعة، وعن الاعتدال في الأمور .

الأصلُ في المسلم السلامةُ، ولو وُجد عنده ما لا ينبغي من الأعمال والأقوال فليس الأصل فيه الشك، ولا أن يقول سوءًا أو يذهبَ إلى سوءٍ.

الأصلُ في الأفكار التي يطرحها المسلمُ أن يكون ديدنُه فيها حبَّ الخير، لا حبَّ الشر، أو حبَّ المخالفة، أو الوقيعة أو الإفساد، ولكن ديدنُه في ذلك الخيرُ من حيث الأفكارُ، إلا إن ثَبَتَ خلافُ ذلك، من قولٍ صريحٍ، أو عملٍ صريحٍ، فإنه حينئذ يكون خلاف ذلك.

النوايا والمقاصدُ يجب اعتبار الظاهر فيها، وأن لا نحكم على نوايا ومقاصد الناس باعتبار ظاهرِ سلوكيّ، أو ظاهرِ قوليٍّ ؛ لأن النوايا والمقاصدَ علمُها عند الله –جل وعلا–، ويجب علينا الحذرُ من أن نظن سوءًا بالناس، والله – جل وعلا – قال: ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾[١] .

وقال – عليه الصلاة والسلام – فيما جاء في الحديث لـمَّـا جاءت الشـهادة قـال: **«هل ترى الشمس؟» قال: نعم. قال: «على مثلها فاشْهَدْ أو فَدَعْ »**[٢] .

الوسطيةُ في التفكير مطلوبةٌ، تفكيرُ الشباب اليوم، بل تفكـيرُ الـناس، بل حتى تفكيرُ بعض الخاصة نراه متفرقًا، متشعبًا بين عقل جامد، أو عاطفة جامحة.

العقـل والإدراك، والعقل والاتزان مطلوبٌ لكن مع عـدم إلغاء العاطفة، والعاطفةُ الجيَّاشَةُ مطلوبة، والحماس للديـن مطلـوبٌ، لكـن مـع عـدم غـياب العقل السليم، ورعايـة الـنصِّ، فمَـنْ جَعَـل عاطفـته حكمًا عليه في كلّ

---

(١) (الحجرات : ١٢).

(٢) أخـرجه الحـاكم والبـيهقي، مـن حديـث « ابن عباس » – رضي الله عنهما – مرفوعًا .

انظر «نصب الراية» (٤: ٨٢)، و«الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (٢ : ١٧٢)، و«كشف الخفاء» ١٧٨١.

تصـرفاته من دون علمٍ، أو من دون رجوعٍ إلى أهل العلم الراسخين فيه، أو رجوعٍ إلى توجيهاتٍ من وليٍّ الأمر، أو مـن دون أن تكـون مبنـيةً على قواعد شرعية، فإنه حينئذٍ يـروم عاطفـةً كمـا رامهـا الخـوارجُ، أو المعـتزلةُ، أو أهل الأهواء.

فأهلُ الأهواء ما أوقعهم في أهوائهم إلا العاطفةُ التي لا تنضبطُ بنصٍّ، أو بمنهج.

خـالفَ الخـوارجُ الصـحابةَ فَقَـتَلوا خـيرَ الـناس في زمنهم، وهو عليٌّ، رضي الله عنه .

مَـنْ قَـتَلَ علـيًا – رضـي الله عـنه – هل قتله أعداءُ الإسلام؟

لا .. إنمـا قَتَلَه رجلٌ يقومُ الليلَ، ويصومُ النهارَ، وهو عـبدُالرحمن بن مُلْجَم الخارجيُّ [1] ، الذي أرسله عمرُ بن

---

(١) المقتـول سـنة (٤٠)هـ. انظـر «الـنجوم الزاهـرة» (١ : ١٥٥)، و«الأعلام» (٣: ٣٣٩).

الخطاب - رضي الله عنه - إلى مصرَ لما طلب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قارئًا يقرئ الناسَ القرآنَ، قال: أهل مصر يحتاجون إلى قارئ يقرئ الناسَ القرآنَ، فقال عمرُ في رسالةٍ أرسلها إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : أرسلتُ لك رجلاً صالحًا، هو عبدالرحمن بن مُلْجَم آثرتُك به على نفسي، إذا أتاك فأكرمْه، واجعل له دارًا يقرئ الناس فيها القرآن.

جلس عبدالرحمن بن ملجم في مصر حتى ظهرتْ حركةُ الخوارج، وأولُ ما ظهرتْ في اليمن، ثم في مصر، وأخذت الانتشار في مِصرَ فأثَّروا فيه، لأنه كان كثيرَ الصلاح، كثيرَ العاطفة، لكنه كان قليل العلم والفقه، وكان منعزلاً، فلذلك أتاه الأمرُ من حيث أتاه، وقَتَلَ خيرَ الناسِ عليَّ بنَ أبي طالب - رضي الله عنه - ولما قِيد للقصاص قال لهم : لا تقتلوني مرة واحدةً، لكن اقتلوني شيئًا فشيئًا، قَطِّعوا أطرافي أمامي؛ لأنظر كيف تقطَّعُ أطرافي في سبيل الله، جل وعلا.

ولقد بقيتْ دعوة الخوارج سريةً متسلسلة في الناس حتى مدح قاتلَ عليٍّ - رضي الله عنه - : «عمرانُ بن حطان» في أبيات قال فيها - والعياذ بالله - :

يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أراد بها
إلا ليبلُغَ من ذي العرشِ رِضْوانًا

إنِّي لأذكُرُهُ حينًا فأحْسِبُهُ
أوفَى البرية عندَ الله ميزانًا (١)

وهذا - والعياذ بالله - هو التدينُ الغالي الذي يجعل الإنسانَ يرى ما ليس بالحَسَنِ حسناً.

فالعاطفةُ الجياشة، والحماسُ للدين، والجهادُ المظنون الذي يؤول إلى مثل هذه الأفكار، وهذا الغلوّ مرفوضٌ من أصحابه، والوسطُ والاعتدال يرفضه، بل يحارب أصحابَه ؛ لأنهم إن بقوا فإنهم سيُضِلُّونَ الناس، فقد

(١) البيتان لـ «عمران بن حطّان»، الخارجي، يمدح «عبدالرحمن من ملْجَم»، وهما في «مقاتل الطالبين» (٣٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (١: ٢٨٨)، و«البداية والنهاية» (١١: ١٩) و(١٢: ٣٥٢).

حاربهم عليٌّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وحاربهم ابنُ عباس - رضي الله عنهما -، وحاربهم معاوية - رضي الله عنه - ، وحاربتهم الدولةُ الأموية، وحاربتْهم الدولةُ العباسيةُ إلى وقتنا الحاضر، فكلُّ أهل الحق يحاربون من يغلو في الدين لأن النبي ﷺ حذَّر من ذلك.

* * *

❑ الوسطية في منهج التفكير:

الوسطيةُ مطلوبة في التفكير، وفي الحكم على الأشياء، وفي منهج التفكير بين النظر في البدايات والمآلات، كثيرٌ من الناس ينظر إلى الأمور باعتبار الحاضر، وباعتبار الواقع، لكن لا ينظر إلى المآلات، والعقلاء الذين يتبعون الشرعَ، ويدركون أحكامه ونصوصه ومقاصده فإنهم ينظرون إلى البدايات كما ينظرون إلى المآلات، وقد قال بعض أهل العلم: **مَنْ لم تكنْ له بدايةٌ محرقةٌ لم تكنْ له نهايةٌ مشرقةٌ**.

مَنْ كان ينظر إلى البداية نظرًا سليمًا فينظر في أسباب حدوث الأشياء، وفي بواعثها؛ لينظر كيف يحكم عليها، فإنه سيكون في نظره إلى المآلات سليمًا، أما إن كان لا ينظر إلى البدايات، ولا ينظر إلى الأسباب والبواعث، ولا ينظر إلى بعث الشيء، أو كيف حَصَلَ، وإنما ينظر إلى المقصد منه، فهذا غلط بلا شك في التفكير ؛ لأنَّ التفكير

الصحيح أن تنظر إلى البداية، وتنظر إلى المآل، فمَنْ فاتَهُ النظرُ في المآلات فإنه يفوته النظرُ السليمُ.

وكثير من ذوي العاطفة الجياشة، وذوي النظر القاصر ينظرون إلى الأمور نظرًا سطحيًا من دون اعتبارٍ للمآل والنهاية .

كذلك نطلب نظر الوسطية في التفريق ما بين الواقع والتنظير، فكثير من الناس ينظر نظريات وخيالات وخلفيات هي في نفس الأمر قد تكون سليمةً لكنها من حيث التطبيقُ مستحيلةٌ، أو شِبْهُ مستحيلةٍ، فهل يسوغ أن يكون المتفقه، وحملة الشرع، والناس المحبُّون للخير أسيرين للخيالات غير القابلة للتطبيق، وأن يكونوا أسيرين لتنظيراتٍ لا توافق الواقع ؟ .

والذي يريد الإصلاحَ الصحيحَ يجب أن يعملَ من خلال الممكن والواقع، لا أن يجانبَ الواقعَ فيعمل تنظيرات يكره بسببها الواقع، أو يجانبُ الواقعَ .

من أجل ذلك يقال: كيف نعمل؟، والنبيُّ ﷺ أتى إلى قـوم أهـلِ جاهلـية، فهـل أبطـل جميع مـا كـان علـيه الجاهليةُ؟

ليس الأمرُ كذلك، بل أخذَ بأحكام الجاهلية في أشياءَ كـثيرةٍ، وجعـل مـن أعمـال أهـل الجاهلـية في كـثير مـن الأمـور ميـدانًا لانطلاقه هذا، وهم أهلُ جاهلية، فكيف الأمـر إذا كانـت المسـألة في بلـد الإسـلام، أو بـين أهـل الإسـلام، أو بـين أهـل العلم في أمور مختلفٍ فيها ما بين اجتهاد وآخر ؟

إنكـم مطالـبون يـا حملةَ الشريعة، ويا دعاةَ الإسلام، ويـا خطـباءَ المسـاجد، وأئمـتها، ويـا علماء الإسلام، ويا فقهـاء الإسلام أن تكونوا واقِعيين في الطرح، فليس الأمر مقـبولاً إذا كانـت أطروحاتُـنا خياليةً، أو بعيدة عن قبول التطبيق، لا يمكنك أن تطبق على الناس ما لم يكن مقبولاً لـدى الـناس، وما لم يكن مقبولاً في مصالحهم، ويجب أن نـرعى أحـوال الـناس ومـا يخـتلفون فـيه، فالخـيالاتُ

والتنظيراتُ ليست بمقبولة.

كذلك إذا كنا نريد من الناس في ميدان الدعوة أن يكونوا خياليين، يأتون إلى الناس بكلماتهم، وتنظيراتهم، وتحميس الناس إلى ما ليس بميدان في التحميس.

ويكونون خياليين كمن يدعون إلى الجهاد، ولا يوجد ميدانٌ صحيح للجهاد، ومن يدعو إلى الإنكار باليد ولا ميدان للإنكار باليد إلا من جهة الاختصاص، فيحمل ذلك الناس على الحماس، وحينئذ يُفْرِغون حماسهم في طُرُقٍ غير شرعية قد يكون من نتائجها ما حصل من تفجير في الرياض، وما قد يحصل مستقبلاً.

فيجب عليك أن ترعى كلمتَك في أن لا تكونَ خياليًا فيما تطرح، وأن لا تتكلم بكلام ينزله الناس على واقعٍ ليس في ذهنك. بعضُ المعلمين أو بعضُ الدعاةِ والخطباء يقول كلامًا هو في نفسه صحيحٌ، ويكون عند الخطيب أو عند الداعية، أو عند المُعلِّم، أو عند أستاذ الجامعة يكون عنده ضوابط تحجزه عن أن يزيد في تطبيق ما ذكر عن

الحد المأذون به شرعًا، ولكن هو لا يأمن مَنْ يخاطِبُ، ومَنْ يُحَدِّثُ أن لا يزيد في تطبيق ما ذُكر من الحدِّ المأذون به شرعًا، والحقُّ قولُ الله - تعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

نهى اللهُ – جل وعلا – أهلَ الإيمان عن أن يقولوا : (راعنا) فلماذا؟ الجواب: أن كلمة (راعنا) تحتمل أن تفهم كما يقولـه اليهود (راعنًا) من الرعونة والغِلظة والشدة يريد بها النبيَّ ﷺ وأصحابَه (٢) .

---

(١) (البقرة : ١٠٤).

(٢) جاء في تفسير «ابن كثير» (١: ٣٧٤) عند تفسير قوله تعالى: (لا تقولوا راعنا) قال «ابن عباس»: كانوا يقولون للنبي ﷺ : أرعنا سمْعَكَ.
وقال «مجاهد»: لا تقولوا خلافاً.
وفي رواية: لا تقولوا: اسمع منا ونسمع منك.
وقال «عطاء»: كانت لُغةً يقولها الأنصار، فنهى الله عنها.
وقال «الحسن»: الراعن من القول السخري منه. نهاهم أن يسخروا من قول محمد ﷺ، وما يدعوهم إليه من الإسلام.
=

....

❊ ❊ ❊

=

وقال «أبو صخر»: كان رسول الله ﷺ إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين، فيقول: أرعنا سمعك. فأعظمَ اللهُ رسولَه ﷺ أن يقال ذلك له.

وقال «السدي»: كان رجل من اليهود من بني قَيْنُقاع، يدعى رفاعة بن زيد، يأتي النبيّ ﷺ فإذا لقيه فكلّمه قال: أرعني سمعك واسمع غير مُسْمَع.

وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تُفَخَّم بهذا، فكان ناس منهم يقولون: اسمع غير مسمع: غيْرَ صاغر. وهي التي في سورة النساء. فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا: راعنا.

وانظر: «تفسير الطبري» (١: ٣٨١-٣٨٢) ففيه تخطئة مَنْ قال «راعناً» بالتنوين على أنها قراءةٌ منسوبةٌ للحسن البصري، لشذوذها، وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين.

العنف وعدم الفهم الحسن

كذلك الذين يتحدَّثون للناس عبر الخطبة أو المسجد أو المدارس، أو الجامعات، ويقولون كلمةً ليست صحيحة في نفسها، أو يمكن أن تفهم على غير وجهها، أو توقع المستمعَ في اللَّبس، ثم هم لا يوضِّحون، فإنهم حينئذ يكونون شركاءَ في البعد عن الاعتدال، وشركاءَ في عدم الفهم الحسن .

كذلك يجب علينا أن ننظر إلى قول النبي ﷺ : **« إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه، ويُعْطِي على الرفق ما لا يُعطي على العنفِ »** [1] أي: تكون رفيقًا في الكلمة، وفي التفكير، وفي الإرشاد، وفي الطرح، فالرفقُ مطلوبٌ، اللهُ - جل وعلا - رفيقٌ يحب الرفقَ في الأمر كلِّه، فهل

---

(١) أخرجه «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب البر و الصلة والأدب - باب فضل الرفق) (٢٥٩٣) من حديث عائشة - رضي الله عنها -، و«أحمد» في «مسنده» (٢: ٩٠٢) من حديث علي بن أ بي طالب، رضي الله عنه .

نريد غير ما يحبُّ الله – جل وعلا – ؟، هل نريد غير ما يَرْضَى اللهُ – جل وعلا – عنه ؟

فإذا كنتَ غيرَ رفيق في أمرك، وفي تفكيرك، وفي مقاصدك، وفي أطروحاتك، وفيما تقول، وفيما تذر، وفي أعمالك، وفي الحكم على الأشياء، والحكم على التصورات، والحكم على الأشخاص، فحينئذ تكون قد فَوَّتَّ أعظمَ شيء، وهو محبةُ الله – جل وعلا – لك .

الوسطيةُ في الدعوة مطلوبةٌ. الدعوةُ تحتاج منا إلى تنظيم وإلى ترتيب، وإلى تعاونٍ على البر والتقوى، لكن هذه الدعوة حيث إنه لا يصلح فيها الفوضوية، بل يجب أن يتعاون فيها أهلُ الحق، وأهلُ الخير، فإنه لا يجوز أن نكون فيها مغالين، فنذهب في الدعوة إلى تنظيمات بدعية، أو تنظيمات سِريّة، أو إلى حزبية مقيتة، والموالاة والمعاداة على رموز دعوة متوهمة فوضوية .

نريد دعوةً تحتاج إلى تعاون على البر والتقوى، وَفْقَ منهج أهل السنة والجماعة، ووفق التطاوع، فالطاعةُ لا

تجوز في بلد الإسلام إلا لوليِّ الأمر .

الطاعةُ المتوهمةُ لجماعةٍ، أو لدعوة، أو لحزب، أو نحو ذلك ليست شرعيةً.

النبيُّ ﷺ حين أرسل معاذًا، وأبا موسى - رضي الله عنهما - إلى اليمن، مع أن أحدهما كان أميرًا للسفر فحينما أتى أمرُ الدعوة قال لهما : «**يَسِّرَا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا وتطاوعا**» [(١)] فليس ثَمَّ مجال لطاعةٍ مطلقة وَفْقَ تنظيم سريّ، أو وَفْقَ حزبية مغلقة، بل التنظيم يكون وَفْقَ تنظيم وليِّ الأمر، والطاعةُ تكون وَفْقَ طاعةِ الله - جل وعلا -، وطاعةِ رسوله ﷺ، ثم طاعة وليِّ الأمر فيما ليس فيه معصية.

فنحتاج إلى تعاونٍ في الدعوة على البرِّ والتقوى، وإلى تكاتف، وإلى أن نكون في الإطارِ الذي أَذِنَ به وليُّ الأمرِ، والإطارِ الذي لا ينتجُ مفاسدَ .

---

(١) تقدم تخريجه ص (٢٢).

أما الإطارات الأخرى التي يتكلم فيها الناسُ، أو قد تكون موجودةً في بعض البلدان، ونخشى أن تكون موجودةً عندنا، أو تنتقل إلينا من تنظيماتٍ سرية، أو حزبيات مبتدعة، فإن هذا مخالفٌ للمنهج الوسِطيٍّ، ولطريقةِ أهل السنة والجماعة، فما كَوَّنَ إمامٌ من الأئمة مع ما حصل في زمنهم جماعةً خلافَ ما أقرَّه وليُّ الأمر، ولم يُكَوِّنُوا تنظيمًا، وإنما كانوا وَفْقَ المنهج الوسط الذي يرعَى الممكِنَ، ويرعَى الدعوةَ وَفْقَ التعاونَ على البرِّ والتقوى .

نحتاج أيضًا إلى وسطية في الدعوة في مسألة حلِّ مشكلات الأمة، فبعضُ الدعاة وطلبةِ العلم وأهل الغَيْرَة يظنون أن مشكلات الأمة سَتُحَلُّ بالغَيْرة، ولو كانت كذلك لم يكن ثَمَّ أغيرُ من نوح - عليه السلام - على توحيد الله، وعلى إخلاص الدين لله - جل وعلا -، فهل كانت غَيْرَةُ نوح - عليه السلام - كافيةً في أن يزول الشرك، أو أن تزول الوثنيةُ التي كانت في زمنه ؟

ومعلـوم أنَّ غَـيْرَةَ نوح – عليه السلام – لم يكن ثَـمَّ أعلى منها في زمانه.

الجـواب: لم يكـن الأمـر كذلـك، بل مكـث في قومه ألـف سـنة إلا خمسـين عامًـا، قـال – تعـالى – : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (١) فهـذا الصبر الطويـل صـبر تسـعِ مـئةٍ وخمسـينَ سـنةً مع وجود الغَيْرة العظيمة، والعاطفة الجياشة منهجٌ يجب أن نكون عليه، مَنْ يـنظرُ الـيوم إلى مشـكلات الأمـة، وما هي فيه في كثير من الأصقاع من جهلٍ بدين الله، وبُعْدٍ عن توحيد الله – جل وعـلا – الخـالص من وجود الشركيات المختلفة، والبدع المختـلفة، والمـنكرات المخـتلفة، فهـل حلُّهـا يكون بغَيْرَةٍ مـتوهمةٍ؟ وهل حلُّها يكون بالإنكار باليد أو السعي فيما لا يُرضـي الله – جل وعلا – من وجود مثل هذه الجرائم

(١) (العنكبوت : ١٤).

والتفجيرات التي حصلت ؟ كيف تُحَلُّ مشكلاتُ الأمةِ بجهد أبناء الأمة ؟

لابدَّ أن نكون في ذلك وسطًا بين الذين كأنَّ الأمرَ لا يعنيهم، ولا يسعَوْن في حلِّ مشكلات الأمة، وبين الذين يُغالون فيذهبون إلى طريق الخوارج، أو طُرُقٍ بِدعية ظالمةٍ بما فيها من سلوكيات، وسُبُل منحرفة .

الأمرُ وسطٌ في أن نعملَ جهدنا وَفق المنهج الشرعي، في أن نعملَ متكاتفين، متعاونين، وأن نحصر مشكلاتِ الأمة، وأن نسعَى فيها، وأن نبذُلَ بالدعوة والخير والإصلاح والمناصحة وَفْقَ المتاح، ووفق الشرع المطهَّر، ووَفْقَ المأذونِ به، فمَنْ حَلَّ مشكلات الأمة بخيالات وتنظيرات فإنه سيكون أسيرَ هذه الخيالات، والمشكلات دون حلٍّ لها .

كذلك نكون وسطًا في النوازل التي تقع في الأمة بين تأزيم النوازل وبين الإسهام في حَلِّها، فالأمةُ مستهدفةٌ، وبلادُ المسلمين مستهدفةٌ بعامة، وبلدُكم هذا بخاصة،

فكيف يجب أن تكونوا تُجاهَ ذلك ؟

يجب بادئَ بَدْءٍ على مستوى هذا البلد المبارك الذي هو معقلُ الإسلام، ومَأْرِزُ الإيمان، والمكانُ الذي انطلقتْ منه الرسالةُ الخالدةُ، وانطلقت منه دعوةُ التصحيح والتجديد، والذي تنطلق منه اليوم بشائرُ الخير بما ترعاه الدولةُ، وترعاه مؤسسات هذا البلد من وزارات، وهيئات، وجامعات، ومؤسسات خيريّة، وما يرعاه العلماء والدعاةُ، والناصحون. يجب أن يتكاتف الجميعُ في ردِّ الأزمات، وعلاجِها، لا أن نكون مؤثِّرين في الناس في أن نزيد من الأزمة .

جاءت أزماتٌ وكثيرٌ من الناس زاد من الأزمةِ بفعله أو بهيجانه، أو بتحميسه، أو بكونه كأنَّ الأزمة لا تعنيه .

الأمور التي يجب أن نحافظ عليها:

الواجب علينا أن نكون مؤثِّرينَ بالمنهج الوسطي، وأن نعمل في التأثير وَفْقَ المتاح، وأن لا نكون متفاعلين مع الأمور بطريقٍ غَلَطٍ، كأَنْ نكون محمِّسين بطريقة خاطئة، وكأَنْ نكون مغالين في الأمور.

فالمطلوب منا أن نحافظ على ما يلي:

أولاً: على توحيد الله، جل وعلا.

ثانيًا : أن نكون محافظين على طاعة الرسول ﷺ .

ثالثًا : أن نكون محافظين على وحدة الكلمة، واجتماع الصفّ.

الأمور التي خالف فيها النبيُّ ﷺ أهلَ الجاهلية:

مسائلُ الجاهلية التي خالف فيها رسولُ الله ﷺ أهلَ الجاهلية، وألَّف فيها الإمامُ المصلح المجدِّد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - كتابه: (مسائل الجاهلية) قدَّم لها بثلاث مسائلَ، هي أعظمُ المسائل التي خالف فيها

الرسولُ ﷺ أهلَ الجاهلية .

الأولى: التوحيد، فكان أهلُ الجاهلية أهلَ شركٍ، فدعاهم إلى التوحيد .

الثانية: طاعةُ الرسول ﷺ، فأهلُ الجاهلية ما يقيمون طاعةً لمقدَّمٍ فيهم، فخالَفَهُمْ اللهُ - جل وعلا - بالأمر بطاعة الرسول ﷺ .

الثالثة: طاعةُ وليِّ الأمر، حيث كان أهل الجاهلية يَرَوْنَ الفوضى إذ لم يكن في مكة أميرٌ عليها، ولم يكن هناك في البلد أميرٌ عليها، فدعا النبيُّ ﷺ إلى طاعة وليِّ الأمر .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بعد سرد هذه المسائل: فأتى النبيُّ ﷺ بهذه المسائل الثلاث وأبدى فيها وأعاد.

وهذا هو الذي يجب علينا أن نبدي فيه ونعيد، فالذين يؤزِّمون النوازلَ بإعطاء الشكوك والأوهام،

وطـرح الشـك، وسوءِ الظن، ويذهبون بعيدًا عن الدعوة إلى وحـدة الكـلمة، واجـتماع الصف، فإن هؤلاء يسعون إلى مـا فـيه خـلافُ الصـالح شـرعًا، وإلى الغلـوِّ فـيما يطرحون.

فالواجـب حينـئذٍ في المسـائل والـنوازل أن نسعى في عـدم تـأزيم الـنوازل، وأن نسـعى في حَلِّها، فالنوازل إذا وقعتْ تُحَلُّ بالشرع، وبالعقل والحكمة والأناةِ.

* * *

الاعتدال بالنظر في السياسة

فهذه المسائل تحتاج إلى بحوث، وحبذا أن تكون هناك بحوث في هذه الأمور التي سأذكرها باختصار ؛ لأنها مهمة في توجيه الناس، وتوجيه الشباب بل توجيه الأمة :

الاعتدالُ في السياسة بين المبالغة في النظر إلى السياسة وما بين الترك. كثيرٌ من الناس ينظر أنه بسماعه لقناة فضائية، أو لقراءته لتقرير صَحَفِيٍّ أنه مؤهَّل للنظر في السياسة، السياسةُ صعبةٌ حتى عند الذين عندهم مؤسسات كبيرة تدعمهم بالمعلومات، ولديهم أجهزة وتَحَرٍ، فليست السياسةُ بالأمر السهل التي يحكم فيها أفرادُ الناسِ، بأنَّ هذا الأمر حكمه كذا، وأن هذه قضية يجب أن ننظر فيها كذا .

والواجب حينئذ أن نكون متوسطين في السياسة. والفهمُ في الأمور السياسية مطلوبٌ لكن يجب أن تثقَ في حل الأمور السياسية بوليٍّ الأمر ؛ لأنه عنده من الأجهزة

والـنظر والإدراك لمصالح الأمة ما ليس عند الأفراد. فمَنْ كـان عنده نظر في تقريرٍ صَحَفِيٍّ، أو في رؤيةِ قناة فضائية، وحينـئذ يجعـل نفسه قائمًا بالأمور السياسية، وكأنه الذي عنده الغَيْرَةُ على الأمة، وغيرُه لا توجد عنده هذه الغَيْرَة، فإنـه قـد بـالغ وَتَـرَكَ الاعتدالَ. الاعتدالُ في السياسة بين الفهـم والقـناعة، لـيس كـلُّ الأمور يمكن أن تُفهم، لكن يجـب أن تحـاولَ الفهمَ، لكن قد لا تُدْرِكُ الأمورَ بالقناعة التامة .

الاعـتدالُ في السياسة بين الاتهام المطلق وبين التبرير المطلـق، هـناك مَـنْ يـبالغون في الاتهـام، يـتهمون بـأول خاطـر، وهناك آخرون أيضًا في الطرف الآخر يبالغون في التـبرير لكـل شيء، والعاقلُ المدركُ، العالم، طالب العلم، صـاحب الحـق يكـون وسـطًا بين الاتهام والتبرير، يكون متفهمًا مُدركًا، يعرف الأمورَ ومآخِذَها .

* * *

الوسطية بين الوطن والأمة

الوسطيةُ بين الأهم والمهم: نحتاج إلى بحث في الوطن والأمـة، مـنا مَـنْ قـد يفـرِّط في وطـنه الـذي هو مخاطبٌ أساسًـا لوجـود الولايـة عليه، ولوجود مصالحه ومصالح مَنْ يكونون حولَه فيه، يفرِّط في وطنه رعايةً لمصالح الأمة كلِّهـا، وهـذا لـيس بسـليم، فمصـالحُ الأمـة مطلوبـةٌ أن تُـرْعَى، وأن يُحـافَظ علـيها، لكـن أولاً أن يُحـافَظَ عـلى مصـالح الوطن ؛ لأنك مخاطَب فيه أولاً **«ابدأ بنفسك ثم بمـن تعـولُ»** [1]، ابـدأ بنفسك أوَّلاً وبمن حولك في النفقة وفي المحافظـة، فمَـنْ أضـاع المحافظـة على الوطن من جهة

---

(١) قـال ابن حجر – رحمه الله – في «التلخيص الحبير» (٢: ١٨٤) : حديث « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» لم أره هكذا، بل في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضـي الله عـنه –: «أفضلُ الصدقة ما كان عن ظهر غنىً، واليد العليا خير من الـيد السـفلى، وابدأ بمن تـعُولُ» . وانظر «صحيح مسلم» في (كتاب الزكاة – باب بيان أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأنَّ السفلى هي الآخذة) (١٠٣٤) من حديث «حكيم بن حزام» رضي الله عنه. وانظر (١٠٣٦).

النظر إلى المحافظة على الأمة فإنه لن يدركَ المحافظةَ على الأمة، ولن يدركَ المحافظة على الوطن، فلابدَّ أن تكون الأمورُ بمقدماتها، تحافظُ على وطنك لأنه الأهمُّ، وأن تجتمعَ كلمتُنا على ذلك، ونسعى في هذا في أن نكون مُؤَثِّرين في الأمة، ساعين في مصالحها.

كذلك الأهم والمهم هناك مَنْ لا يرعَى الاعتدال في ذلك يقدِّمُ كلَّ شيء، وكلُّ شيء عنده مهمٌّ.

لا، العقلاءُ من أهل العلم والدعوة، وأهل التوجيه يَـرَوْنَ أن تقديم الأهم مطلوبٌ حتى ولو فَوَّت مهمًا، أو مهمات كثيرة، لابدَّ أن تَرْعَى الأولويَّات بأن تبدأ بالأهم، وأن تؤخِّر المهمَّ، لابدَّ من أن نكون أهلَ إدراكٍ؛ لأن شريعتنا أمرتنا بذلك أن نكونَ أهلَ فَهْمٍ، وأهلَ نظر، وأن لا نكون متعجلين متوانين في أمورنا، وأن نكون وسطًا بين طرفي الإفراط والتفريط، وبين طرفي الغلوِّ والجفاء.

* * *

الخاتمة

نسأل الله - جل وعلا - أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يجعلنا من النمط الذين وصفهم «عليٌّ بن أبي طالب» الخليفة الراشد، ورابعُ المبشرين بالجنة - رضي الله عنه وأرضاه - وصفهم بقوله : « خيرُ الناسِ النمطُ الأوسط الذين يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم الجافي» [(١)]، وهذا هو المطلوب منكم .

أسألُ الله لنا ولكم التوفيقَ، اللهم اجمعْ كلمةَ المسلمين على الحقِّ والرُّشْدِ والسداد.

اللهم وفِّق ولاة أمورنا إلى الخير واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى واجْزهم خيرًا عن كل ما يقدِّمونه للإسلام والمسلمين .

اللهم نسألك التوفيقَ في أمورنا كلِّها، وأن تجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، كما أسأل المولى - جل

---

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٠).

وعلا - لي ولكم الرُّشْدَ والسدادَ في القول والعمل، وأنْ يعـيذَنا مـن الـزلل في الطـريق والقـول والمسار. إنه جواد كريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصـلى الله وسـلم عـلى نبيـنا محمـد وعـلى آلـه وأصحابه أجمعين .

❊ ❊ ❊

المحتوى

الموضوع	الصفحة

